المديح الديني في الشعر الشعبي الجزائري

_ "يحي بختي" أنموذجا _

Religious praise in Algerian popular poetry
- Yahya Bakhti is a model -

د. ميلود فضة*

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجلفة – الجزائر–

تاريخ الإرسال:2020/10/22	تاريخ القبول:2020/11/02	تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص: تحظى شخصية النبي محمد _ صلى الله عليه وسلم _ وسيرته في الشعر العربي بمكانة كبيرة جدا؛ فلطالما تغنى بها الشعراء قديما وحديثا، سواء مدحا، أو رثاء، أو وصفا...والشعر الشعبي الجزائري بدوره حمل على عاتقه نفس المهمة؛ في مدح النبي الكريم وصحابته _رضوان الله عليهم_ والاعتزاز بالإسلام والعربية، وتمجيد الثورة، والمناداة بوحدة الوطن واستقلاله وحريته، ولعل من النماذج الشعرية التي ذاع صيتها في منطقة الجلفة، هو الشاعر "يحي بختي" _رحمه الله تعالى_، الذي نظم في جلّ الأغراض الشعرية، وطبع عمله في ديوان بعنوان "المسيرة" سنة 2006م.

وسنحاول في هذا المقال بداية أن نشرح مفردات العنوان؛ وهي تعريف المدح، والمديح الديني، والأدب والشعر الشعبيين، وترجمة موجزة للشاعر وديوانه، ثم نفصّل في الموضوع الأساسي وهو إبراز خصائص ومظاهر المديح الديني في شعر "يحي بختي" بصفته شاعرا شعبيا.

الكلمات المفتاحية: شعر شعبي؛ مديح ديني؛ نبي؛ صحابة؛ يحي بختي.

Abstract:

The character of the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, and his biography in Arabic poetry are of great importance, Poets have always sung it in ancient and modern times, whether it is praise, lamentation, or a description…Algerian popular poetry, in turn, bore the same task, In praising the nople Prophet and his companions, pride in Islam and Arabic, glorifying the revolution, and calling for the nation's unity, independence and freedom, Perhaps one of the poetic models that became famous in the Djelfa region is the poet "Yahya Bakhti", who organized most of the poetic purposes and printed his work in a collection entitled "Al-Masirah" in 2006.

In this article, we will try, at the outset, to explain the vocabulary of the title, which is the definition of praise, religious praise, popular literature and poetry, and a brief translation of the poet and his poetry, and then we will separate in the main topic, which is highlighting the characteristics and aspects of religious praise in Yahya Bakhti poetry as a folk poet.

Keywords: folk poetry; Religious praise; Prophet; companions; Yahiya bakhti.

* Feddamiloud26@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

1- مقدمة

يعتبر شعر المديح من الأغراض المهمة في الشعر العربي، وله مكانته أيضا في الشعر الشعبي؛ فقد استخدمه هؤلاء الشعراء في مناسبات عديدة، ... والشاعر "يحي بختي" نظم في جلّ الأغراض الشعرية، والذي يهمنا هنا غرض المدح، فبالإضافة إلى مدح الرجال والشخصيات الثورية، نجده قد مدح النبي _ صلى الله عليه وسلم _ وصحابته الكرام...، بل نجده قد خصص له قصيدة بكاملها في مدحه _ صلى الله عليه وسلم _ والتوسل بسيرته العطرة، جاءت بعنوان: "التوسل بالسيرة المحمدية"، وهي قصيدة طويلة جدا سنعود إليها في التحليل، بالإضافة إلى قصائد أخرى، وهي: "نبدا باسمك يا الله يا واعد"، و"يا رب يا خالقي عال القدرة"، و"الرؤيا"، وفيها من الحمد والتكبير والتهليل والدعاء ما فيها، وذِكرٌ لصفاته عز وجل، وأخرى فيها صلاةٌ على النبي صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى الدعاء والتوسل والشكر، ومواضيع أخرى ليست محلّ بحثنا هنا؛ كالثورة والتحرر، والتغزل، والحكمة...الخ.

ومن خلال تلك النماذج الشعرية تَظْهر عاطفة الشاعر الدينية تجاه خالقه عز وجل، ونبيّه محمد _صلى الله عليه وسلم _، وسنحاول في هذا المقال إبراز تلك العاطفة في شعره الذي ينهمر حبًّا للإسلام والعقيدة الإسلامية، والصحابة _رضوان الله عليهم_، وما يتخلّل ذلك من حديث عن النفس بينها وبين ذاتها، وبين خالقها، بالإضافة حمد الله وشكره والثناء عليه، وذكر نعمه على مخلوقاته، وقدرته وعظمته، والصلاة على النبي الكريم، والتغني بجماله وسيرته، وذكر معجزاته، والتوسل به وبصحابته والصالحين.

والمراجع في هذا الموضوع كثيرة ومتنوعة، استفدت من بعضها؛ نظرا لضيق الوقت، وأذكر على الخصوص في الجانب التطبيقي: عبد اللطيف حني في مقاله: "المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري"، وحميدة سعاد في مقالها: "المديح الديني في الشعر الشعبي الجزائري في تبسة أحمد بن سعد أنموذجا؛ مما سهّل علي الإحاطة بموضوعات المديح في شعر يحي بختي وشرحها.

أولا_ تعريف المدح لغة واصطلاحا، وذكر أنواعه:

أ_ المدح لغة: قال "ابن منظور": ((المدْحُ: نقيض الهجاء، وهو حُسن الثناء؛ يقال: مَدَحْتُهُ مِدْحَةً واحدة، ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا ومِدْحَةً؛ هذا قول بعضهم، والصحيح أن المدْحَ المصْدَرُ، والمِدْحَةَ الاسمُ، والجمع مِدَحٌ، وهو المدِيحُ، والجمع المدائِحُ والأماديحُ، والأخيرة على غير قياس، ونظيره حديثٌ وأحاديثٌ؛ قال أبو ذُؤَيْبٍ:

لو كان مِدْحَةُ حيٍّ مُنْشِرًا أَحَدًا أَحْيا أَبَاكُنَّ يا ليلى الأَماديحُ

...)) (ابن منظور، د.ت، 4156). ويمدح الرجلُ بالشعر أيضا قال "ابن منظور": ((المدائح: جمع المديح من الشعر الذي مُدِحَ به، كالمِدْحَةِ والأُمْدُوحَةِ؛ ورجل مادح من قوم مُدَّحٍ ومديحٌ مَمْدُوحٌ. وتمَدَّحَ الرجل: تكلّف أن يُمْدَحَ. ورجل مُمَدَّحٌ أي مَمْدوحٌ جدا... ومدَح الشاعر وامتدح)) (ابن منظور، د.ت، 4156).

ب_ المدح اصطلاحا:

يُعرّف المدح اصطلاحا بأنه:((فن من فنون الشعر، كان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي يفخرون بها)) (فروخ، د.ت، 83)، بالإضافة إلى الأغراض أو الموضوعات الأخرى وهي الهجاء والغزل والرثاء والوصف، وقد التفت "شوقي ضيف" إلى أقدم مَنْ حاولوا تقسيم الشعر العربي إلى موضوعات؛ ومنهم "أبو تمام"، و"قدامة"، و"ابن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رشيق"، فقد حاول "قدامة" بعقله المنطقي أن يرد الشعر إلى بابين أو موضوعين هما الهجاء والمدح، فالنسيب مديح وكذلك المراثي، وجعل "ابن رشيق" موضوعات الشعر تسعة وهي: النسيب، والمديح، والافتخار، والرثاء، والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب، والوعيد والإنذار، والهجاء، والاعتذار...(ضيف، د.ت، 195،196).

وكان للعرب في الجاهلية ((مديح واسع يتمدحون فيه بمناقب قبائلهم وسادتها، وكانوا كثيرا ما يمدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم الجوار متحدثين عن عزتها وإبائها وشجاعة أبنائها وما فيهم من فتك بأعدائهم وإكرام لضيوفهم ورعاية لحقوق جيرانهم))(ضيف، د.ت، 210)، وواضح ممّا سبق أن المدح تعداد لخصال الممدوح من كرم وشجاعة وعزّة وصبر وتماسك وتقديم عون...الخ، سواء تعلّق الأمر بالفَرد أو بالجماعة.

ج_ أنواع المديح(حميدة، 2015، 210):

للمديح أنواع كثيرة، تختلف باختلاف الممدوحين، وأهم هذه الأنواع: المديح الديني، ومديح الخلفاء والملوك، ومديح الأمراء والوزراء والوجهاء، ومديح العلماء والأدباء، ومديح الأوطان والبلدان(حميدة، 2015، 210).

ثانيا_ المديح الديني في الشعر الشعبي الجزائري:

معلوم أن للدين الإسلامي بنظمه وأحكامه وتقاليده مكانة عظيمة في المجتمع الجزائري، والحال نفسه بالنسبة للشعراء، وقد كان للغة العربية وآدابها، وللقرآن الكريم وعلومه، وللشعر العربي القديم تأثير كبير في تكوين الشعراء، وفي صقل موهبتهم، والشعر الشعبي ليس ببعيد عن هذا التأثير؛ فقد ((استمد الشعر الشعبي الجزائري من الدين الإسلامي موضوعاته وأساليبه الفنية، ويعود ذلك إلى النشأة الدينية للشعراء الشعبيين، فقد تعلموا وتكونوا في الزوايا وبحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وشبوا على مختلف التقاليد الإسلامية، مما ساهم بشكل كبير في تعلمهم آداب وعلوم اللغة العربية هذا من جهة، ومن جهة أخرى محنة الاستعمار التي حركت قرائح الشعراء وأججت عواطفهم الدينية، فنظروا للمستعمر الفرنسي نظرة الغازي الغاصب، فاتخذوا من التاريخ الإسلامي وأحداثه مرجعا لحديثهم واعتبروه وسيلة فعالة لإقناع الناس بحتمية الجهاد وتحرير البلاد من المستعمر))(حني، 2012، 66).

وتنوعت أغراض الشعر الشعبي من غزل ومدح ووعظ وإرشاد ورثاء وهجاء، وما يهمنا هنا، هو الغرض الديني؛ لأنه موضوع بحثنا، و((نزعة التدين أو الميل إليها صفة غالبة عل كثير من الشعراء الشعبيين الجزائريين...وتبدو تلك الظاهرة في بداية القصيدة، وبخاصة إذا ما تعلق الأمر بالاستغاثة أو في حالة النوائب والمصائب والنكبات، ولكنها قد تكون في خاتمة القصيدة أيضا، وهي طريقة يعمد إليها معظم الشعراء للدّعاء لهم ولآبائهم ولجميع المسلمين ... فالنص الديني متمكن من الجماعة التي يمثلها الشاعر ويرفع صوتها عاليا في جميع المناسبات ...))(دحو، 1988، 64) ، ولهذا فـ ((قد ركّز الشعر الديني الجزائري على مدح النبي _صلى الله عليه وسلم _ وآله وصحابته، ومدح الشيوخ والأولياء الصالحين ...))(حني، 2012، 67).

لقد اتخذ الشعر الشعبي الديني الجزائري من الابتهال والاستعانة بالله تعالى، ومدح النبي _صلى الله عليه وسلم _ والشيوخ والأولياء الصالحين موضوعات لقصائده، وأصبح الشاعر الشعبي يبث نظرته ووعيه الفلسفي عبر مدائحه متأثرا في ذلك بالثقافة الدينية المتداولة في المساجد والزوايا، والتي أخذها من محيطه وشيوخه والطرق المنتشرة في الجزائر، لذلك فالشعراء الذين ظهروا في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر هم من الصوفية...(حني، 2012، 68))((وإن كان هناك من الشعراء من يغرقون في مصطلحات الصوفية، حيث يعدون من المنتمين إلى طرقها، وهناك من تحضر بعض مصطلحاتها في قصائدهم لفهمهم البسيط لهذا الاتجاه، حيث خاضوا فيها وذلك بمعرفة بسيطة))(حميدة، 2015، 214).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وواضح أن ((المديح النبوي هو الشعر الذي ينظمه الشعراء في مدح النبي _صلى الله عليه وسلم _ معدّدين فيه صفاته الخلقية، وواصفين الشوق لرؤيته وزيارة قبره، وكل الأماكن المقدسة المتصلة به، ذاكرين معجزاته وكل مراحل سيرته العطرة، وكثيرا ما يضمنون أشعارهم الاعتراف بالذنوب والتقصير في أداء واجباتهم الدينية راجين شفاعة النبي الكريم ...))(حميدة، 2015، 210).

وما دام الشاعر يطلب خالقه الذي خلقه، ويصلي ويسلّم على أفضل الخلق محمد _صلى الله عليه وسلم _ ويطلب شفاعته، فلا شك في أنه مخلص النية وصادق في دعواه من غير رياء ولا مباهاة، وهو في ذلك الطلب والدعاء مقصر لا محالة، لأن الكمال لله عز وجل، فـ ((غالبا ما يجتهد الشاعر الشعبي المادح لإظهار تقصيره في أداء واجباته الدينية والدنيوية، كما يذكر آثامه وسيئاته وكثرة ذنوبه في الدنيا معترفا بها، ومظهرا كل مستتر، ثم يناجي الله تعالى بصدق وشوق راجيا منه التوبة والمغفرة، وينتقل بعد ذلك إلى الرسول(ص) طامعا في وساطته وشفاعته يوم القيامة، ومتوسلا بأسمائه وصفاته التي عرف بها))(حني، 2012، 68).

إن اهتمام الشعراء الشعبيين الجزائريين بموضوعات الثورة والاحتلال الفرنسي، والمناداة بالحرية والاستقلال، وما يعانيه الشعب من الحرمان، وتصوير حياة الشعب...، لم يمنعهم من أن يلتفتوا إلى سيرة النبي _صلى الله عليه وسلم_ إما بمدحه وذكر لخصاله، أو غزواته، وكأن الأمران سيّان؛ فبالحديث عن الثورة والحرمان وتسلّط الاستعمار، يتذكّر الشاعر التاريخ الإسلامي، والمعارك والغزوات التي خاضها النبي الكريم وصحابته نصرة للدين والعقيدة، والأمر نفسه بالنسبة للمحتل الذي حارب الدين والعقيدة واللغة والهوية...، فهبّ الشعب الجزائري للدفاع عن الوطن والإسلام.

ثالثا_ الأدب الشعبي/الشعر الشعبي: التسمية، المفهوم، والاستعمال:

وقع اختلاف بين الباحثين والدارسين _ في حدود ما اطّلعتُ _ في تحديد مفهومٍ للأدب الشعبي، وكذا في تحديد المصطلح أو التسمية؛ فمنهم من يسميه "الأدب الشعبي"، ومنهم من يسميه "الأدب العامي"، وآخر يطلق عليه "الأدب الشفهي"، وهناك من يختار مصطلح "التراث الشعبي"،... فإعطاء التعريف يخضع للمصلح أو للتسمية؛ بمعنى أن تعريف "الأدب الشعبي" ليس كتعريف "الأدب العامي" مثلا...

وحسب ما قرأتُ، وما يفهم من تلك المصطلحات، وما يُستعمل؛ فالأقرب لتلك التسمية، هي مصطلح "الأدب الشعبي"، فهذا الأخير هو ((مصطلح جديد يدل على التعبير الفني المتوسل بالكلمة وما يصاحبها من حركة وإشارة وإيقاع تحقيقا لوجدان جماعة في بيئة جغرافية معينة أو مرحلة محدودة من التاريخ، ولقد اختلف مدلول هذا الاصطلاح باختلاف المدارس الفلكلورية والأدبية... والأدب الشعبي جزء من المأثورات الشعبية...ويتّسم بكل ما تتّسم به المأثورات الشعبية من العراقة والتلقائية الظاهرة، وغلبة العرف ووجود المضامين الثقافية، إلى جانب المرونة في التطور والجهل بمؤلف النص في معظم الأحيان))(يونس، 1983، 24).

هذا عن الأدب الشعبي، والأمر ذاته نجده على مستوى الشعر الشعبي؛ فقد أطلق عليه عدة تسميات منها: الشعر الملحون، والشعر الشعبي، والشعر العامي، والنَّظْم، والكَلام ...ولكن إذا أردنا اختيار تسمية من حيث الاستعمال، رجعنا إلى الدارسين في ذلك؛ فإنهم ((يميلون إلى مصطلح "الشعر الشعبي" ...))(جادي، 2019، 47). وهو شعر: ((يطلق... في العادة، على كل شعر نبع من بيئة شعبية، واستعملت فيه لغة عامية، سواء أكانت قصيدة ملحونة أم شعبية، أم أي شيء آخر في صورة شعرية مماثلة))(مرتاض، 1978، 13).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا_ الشاعر "يحي بختي" وديوانه:

أ_ الشاعر "يحي بختي" في سطور(بختي، 2006، 5_ 11):

ولد الشاعر "يحي بختي" عام 1931م، ببلدية "سيدي بايزيد"، ولاية الجلفة، رحل والده إلى مدينة "حد الصحاري (زنزاش سابقا)، وكان حينها يبلغ الثانية من عمره، وهناك تعلم وحفظ القرآن على يد شيوخ من بني عشيرته، في الفترة ما بين 1936_ 1943م. بدأ العمل في سن مبكرة جدا؛ فهو لم يتجاوز الرابعة عشر، ودخل مدرسة التكوين المهني بالعفرون، ونال شهادة، واشتغل بها، وقام ببناء أقسام دراسية بحد الصحاري. وعمل تحت قيادة "زيان عاشور" و"عمر إدريس" و"حسن عبد الباقي" وآخرين، وقد كلّف بمسؤولية الاتصال بين الولايتين التاريخيتين السادسة والخامسة.

بعد الاستقلال انتخب في بلدية "حد الصحاري" لثلاث فترات متتالية للمجالس الشعبية، ومسؤولية جزب جبهة التحرير الوطني لدائرة "عين وسارة"، ولأسباب قاهرة، قدّم استقالته وهاجر إلى "فرنسا" سنة 1971م.

شارك في العديد من المهرجانات والملتقيات الوطنية، ونال جوائز وشهادات في مختلف ربوع الوطن؛ في العاصمة، وسيدي بلعباس، والبيض، والجلفة، وتيارت، وتسمسيلت ... وغيرها، وكرّم عدّة مرّات؛ بالجلفة، وحد الصحاري، وعين وسارة، وحاسي بحبح.

خلّف ديوانا شعريا موسوما بـ: "المسيرة"، نسخة منه بحوزتي، نشرته وزارة الثقافة، وطبعته المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، سنة 2006م، ضمّ قصائد في الوطن والثورة، وفي المدح والحكمة، والتغني بالأمجاد، وأخرى في الغزل...

توفي "يحي بختي" سنة 2016م بالجلفة(ويكيبيديا، 2020/02/07).

لقد عاش الشاعر "يحي بختي" في ظروف صعبة مرت بها الجزائر، تتمثل في أنها كانت محتلة من طرف الاستعمار الفرنسي منذ 1830م إلى 1962م، تخلّل ذلك الحرب العالمية الثانية، ثم اندلاع الثورة الجزائرية المباركة ضد الاحتلال عام 1954م، ومشاركته فيها، وهذا ما زرع في الشعب الجزائري جراحا عميقة وحزنا وألما وفقرا؛ فقتل من قُتل، وشُرّد من شرّد، وهاجر من هاجر... ونتيجة لتلك الفترة الطويلة من الاحتلال، تولّد في الفرد، وبالتالي المجتمع، نوع من العزلة والحرمان والضياع..، والشعراء جزء من هذا النسيج الاجتماعي، والحال نفسه بالنسبة لشاعرنا، وبعد الاستقلال تقلّد مناصب لفترات متتالية، استقال بعد ذلك ليهاجر إلى فرنسا عام 1971م _ كما ذُكر في الديوان _ ليعيش في غربة ويذوق مرارة الهجرة، وينظم قصيدته المشهورة "الإلياذة الشعبية" التي تصدّرت ديوانه.

ب_ الديوان ومحتوياته:

جاء ديوان الشاعر "يحي بختي" بعنوان "المسيرة"، وهو عنوان لإحدى قصائد ديوانه هذا، والمسمّاة "المسيرة"، نظمها سنة 1957م، وإطلاق تلك التسمية على الديوان لها إشارة قوية على الرحلة الطويلة للشاعر، وما قدمه من إنجازات؛ ابتداء من تعلمه، ثم كمجاهد، إلى تقلده مسؤوليات بالمجالس الشعبية البلدية، بعد الثورة، وقبل ذلك وبعده، رحلته بدأت بالشعر وانتهت به، تلك المسيرة الطويلة والحافلة؛ مثّلها بشعره، عبر محطات في حياته، هي بمثابة تجارب وعبر وحكم، وهي من جهة أخرى، يستفاد منها في معرفة أحداث تاريخية وقعت فعلا؛ سواء أثناء الثورة، أو بعدها، في المنطقة التي عاش فيها، أو الجزائر عموما، تبقى من أقوى المصادر للمتخصصين في التاريخ؛ لأن الشاعر عايشها وسجّلها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عدد صفحات الديوان 238 صفحة، وهو من القطع المتوسط، قُسِّم إلى موضوعات وأغراض، وداخل كلّ موضوع مجموعة من القصائد؛ نذكر عناوينها كما وردت في الديوان(ينظر: بختي، 2006، 12_238):

ب.1_ من وحي الثورة والوطن: اندرجت تحته القصائد الآتية:

_ قصيدة "الإلياذة الشعبية"، وقصيدة "يا أخي طولت عني بالجواب"، وقصيدة "المسيرة"، وقصيدة جاءت بدون عنوان، لكن كتب في مقدمتها ما نصه: ((نظم الشاعر هذا القصيد بطلب من مجموعة من المجاهدين، وعلى رأسهم الشهيد "عمر إدريس" وكذا المجاهد "فرحات حميدة" الملقب بـ"شوقي"، وكان ذلك خلال سبتمبر 1957م، بمنطقة جبال عمور التابعة للولاية الخامسة بدائرة أفلو "الأغواط"))(بختي، 2006، 52)، وقصيدة جاءت كذلك بدون عنوان، وكتب في مقدمتها ما يلي: ((نظم هذا القصيد في 1958م، في شهر أكتوبر بجبل آفلو في مكان يدعى عين سيدي علي))(بختي، 2006، 58)، وقصيدة "حلم ثائر"، وقصيدة "خرافة سلم الشجعان ظهرها البيان"، وقصيدة "من وحي الثورة"، وقصيدة "بشرى يا شهيد"، وقصيدة "الحذر ثم الحذر"، وقصيدة "الوحدة والتاريخ المجيد"، وقصيدة "نحن مسلمين ولنا كتاب"، وقصيدة "صرخة مجاهد"، وقصيدة "تحية عرفان"، وقصيدة "عودة المجد والتئام الجراح"، وقصيدة جاءت بلا عنوان، ولكن ذُكرت مناسبتها: ((نظم هذا القصيد بمناسبة قدوم فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة إلى ولاية الجلفة، 2003/10/06م))(بختي، 2006، 118).

ب.2_ مدائح وحكم: اندرجت تحتها القصائد الآتية:

_ قصيدة "الرؤيا"، وقصيدة "التوسل بالسيرة المحمدية"، وقصيدة "يا رب يا خالقي عال القدرة"، وقصيدة "حوار بين العبد وقلبه"، وقصيدة "هذ ضنون أخ لأخيه"، وقصيدة "اتخذ العلم والحكمة سول".

ب.3_ الأمجاد: تضمن القصائد الآتية:

_ قصيدة بعنوان: "السبخة"، وقصيدة أخرى هي تتمة للقصيدة السابقة(السبخة)، وبروي مغاير هو النون، قالها بعد عام، أي في 1969م، وكُتب في مكان العنوان ما نصه: ((وأضيف سنة 1969م إكمالا وردا عنهم:))(بختي، 2006، 158). وقصيدة "ذ الخصلة محال ماهي لبنادم"، وقصيدة "تر كشف السرقة"، وقصيدة "القمري (1)"، وقصيدة "القمري(2)"، وقصيدة "أولاد نايل"، وقصيدة "حصراه على الجلفة"، وقصيدة "يا مرسولي روح بجوابي فالحين". وقصيدة "أولاد الحلال"، وقصيدة "تبدا بسمك يا الله يا واعد"، وقصيدة "يا صحرواي ليك مني هدية"، وقصيدة "الفرج عن الكرب".

ب.4_ حنين: احتوى على القصائد الآتية:

_ قصيدة "ريت الغزلان"، وقصيدة "بهذا الإحسان راها ملكتني"، وقصيدة "بنت البهجة زينها فايز متموم"، وقصيدة "يا مسافر أدي وصية".

ب.5_ آخر القوافي: ضمّ قصيدتين هما:

_ قصيدة "الإشادة بأولاد نايل"، وقصيدة "فيما يخص المصالحة والرئيس السابق أحمد بن بلة".

وما يلاحظ عن قصائد هذا الديوان، أن الكثير منها صُدّرت بمقدمات ذُكرت فيها مناسباتها، والقليل منها لم تُذكر عناوينها، بالإضافة إلى تعدد روّيها، وقد تنوعت أغراضها، هذا زيادة عن خوضها في موضوعات شتى؛ كالثورة والحرية، والسياسة، وتصوير بعض الحوادث هنا وهناك، والتغني بالسيرة النبوية، وتقديم النصح والإرشاد، وبعض الحكم...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسا_ المديح الديني في شعر "يحي بختي":

ما أقصده بهذا العنوان هو المديح الديني بمعناه الشامل، بما في ذلك المديح النبوي؛ أي أن المديح الديني يتمثل في الثناء على المولى عز وجل وحمده وشكره، وذكر نعمه التي لا تحصى على مخلوقاته، ومدح النبي الكريم، والصلاة عليه والشوق إليه والتغني بسيرته العطرة، والتوسل به وطلب شفاعته، بالإضافة إلى مدح صحابته والاعتزاز بالإسلام...، وسأحاول هنا أن أقف عند أهم موضوعات المديح الديني التي وردت في ديوان "يحي بختي":

أ_ البدء باسم الله تعالى وذكر صفاته:

جرت العادة، غالبا، أن يبدأ الشاعر الشعبي بذكر اسم الله، وصفاته، ثم يدخل في موضوع القصيدة، فـ ((قد أَلِفَ شعراء الملحون أن يذكروا اسم الله ابتداء حتى يكون عملهم مكتملا، وغالبا ما يجتهد الشاعر الشعبي في استذكار الله عز وجل بأسمائه وصفاته والاستفتاح بها مناجيا الله عز وجل...))(حميدة، 2015، 216)، فمن بين الأمثلة الكثيرة في ديوانه، قوله(بختي، 2006، 94):

نَبْدَا باسْمك يا إله الوهاب يا مَلِيكْ الحق مجيب الدعوات

فقد استهل الشاعر قصيدته: "نحن مسلمين ولنا كتاب" بذكر اسم الله تعالى، معلنا عن ذلك صراحة بالفعل "نَبْدَا"، ثم عدَّد أسماء المولى عز وجل وصفاته؛ فهو: الوهاب، الحق، المالك، المجيب، لكي يُجيب دعاءه.

وفي قصيدة أخرى، يبدأ باسم الله تعالى في نظم شعر على شرف أولاد نايل(بختي، 2006، 169):

بسم الله أبديت بكلامي ننظم ننظم قصيدة على الشرفاء لحرار

وفي نفس الموضوع، في قصيدة أخرى، يشيد بأعرق الأسر لأولاد نايل، وهي أسرة الشريف خليفة أولاد نايل، بادئا بذكر الله تعالى، من أجل نظم القصيدة التي مطلعها(بختي، 2006، 177):

بسم الله أبديت بكلامي ننظم ننظم قصيدة على آل المختار

وفي قصيدة "أولاد الحلال"، بدأ بذكر اسم الله تعالى، ثم اسميه؛ فهو الله ذو الجلال، راجيا منه تعالى أن يسهل الأمر الذي ينوي فعله، وبعد هذا ينادي المولى عز وجل بأسمائه وصفاته؛ فهو العليم والخبير والبصير والمتعالي، وكل تلك الصفات تدل على أن الله تعالى عليم بصير وخبير بالذي طلبه ودعاه، فهو يعلم السرّ وأخفى، وإليه يلجأ كلّ مضطر، وهو الشافي، فالشاعر طلب الله عز وجل بأسمائه العلى أن يسهل له فيما يتمناه، ويشفيه، فقال(بختي، 2006، 185):

نبدا بسمك يا إله ذو الجلا سهلي في الشي إلي نتمنى فيه
يا عالم الغيب بكل الأحوال خبير وبصير لما هو خفيه
إلّي طلبك يا إله المتعال ما يخفاش عليك ما هو واجب بيه
يا رب أنت إلّي تشفي لعلال لا غيرك محال واحد نلجأ ليه

ونفس الأمر، فيما مرّ بنا من أبيات، قوله من قصيدته "نبدا بسمك يا الله يا واعد"(بختي، 2006، 189):

نبدا باسمك يا إله يا واحد يا مليك الملك في كل مكان

وفي مستهل قصيدة "حلم ثائر" بدأ بذكر الله تعالى (باسم الله) مخاطبا الشعب الجزائري، عندما جاء "ديغول" إلى الجزائر سنة 1958م، فقال(بختي، 2006، 62):

بسم الله أبديت بكلامي ننظم افهم يا شعب الجزائر ذ الأبيات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على المجاهدين قاصد نتكلم نمدحهم باشعار في هذ الحياة

والشاعر، في كل ما مرّ بنا من نماذج، نجده يبدأ بذكر الله تعالى ثم يذكر ما يناسب السياق والوزن من صفات المولى عز وجل؛ وهذا يدل على أن الشاعر الشعبي، وشاعرنا واحد منهم، يعلم أن البدء بالبسملة أو (باسم الله) هو أمر شرعي، وفيه من البركة ما فيه؛ لأن كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالبسملة فهو أبتر أو أقطع، كما ورد في الحديث الشريف، وفيه من الخير التوفيق فيما هو آت؛ سواء من نَظْمِ شعرٍ، أو طلب حاجة، أو دعاء لشخص، أو طلب عفو، أو شفاء من سقم...

ب_ الإقرار بقدرة الله تعالى:

بالإضافة إلى الاستهلال باسم الله تعالى وصفاته في قصائد الشعر الشعبي الجزائري، هناك سمة أخرى تميزه، وهي الإيمان بقدرة الله تعالى وعظمته، حتى وإن كانت الأبيات الآتية في موضوع التوسل، فإنها تبين قدرة المولى عز وجل وعظمته؛ فما في السموات والأرض وما بينهما لله، وما خلق من إنسان وحيوان ونبات وجماد، كلّ ذلك من صنع القادر(بختي، 2006، 94):

يا رب بجاه ما في الملك أقطاب الكرسي والعرش في السموات
يا رب بجاه ما في الأرض أحساب أنس وحيوان جماد ونبات
يا رب أرجاك في يوم الحساب بدل سيّئاتنا بالحسنات

وفي قوله (بدّل سيئاتنا بالحسنات) إشارة إلى قوله تعالى:﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَ ءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولئكَ يُبَدِّلُ اللهُ سيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾(سورة الفرقان/70). وهذا دليل على أن لشاعرنا ثقافة دينية، وقارئ وحافظ للقرآن الكريم، وظاهرة الحفظ هذه عادة أهل المنطقة، وباقي مناطق الوطن؛ فجلّ أبنائها يدخلون الكتاتيب منذ الصغر، ومنهم مَن يُرسَلون إلى الزوايا، لتعلّم وحفظ القرآن وعلومه، والمتون المختلفة، ودروس التفسير، حتى أن منهم مَنْ يتخرج إماما أو عالما.

وفي قصيدة "نبدا باسمك يا الله يا واعد" يثني على المولى عز وجل بصفاته وأسمائه الحسنى، ويوحده؛ فهو الرحمن، الرحيم، الصمد، ومما يدلّ عن كمال قدرته وعظيم سلطانه وقوته سبحانه رفعُه للسماوات بغير عمد عن الأرض، واستواؤه على العرش، ووضعه الميزان، واستخلافه آدم في الأرض، وخلق له وذريته من كل ما لذّ وطاب في الدنيا، وخلق حواءَ زوجتهُ(بختي، 2006، 189):

الرحمن الرحيم إله الصمد لا شريك له علم الإنسان
رفع السموات بغير عَمَد استوى على العرش وضع الميزان
استخلف في الأرض آدم سيّد كرّمُو طيبات من كل الألوان
اخْلقْ حوة زوجُو بيها مفرد امرْها الله بحق القرآن

وفي الأبيات السابقة تضمين آية من القرآن؛ تأكيدا لكلامه، وهي قوله تعالى في محكم تنزيله من سورة الرعد: ﴿ اللهُ الذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الاَمْرَ يُفَصِّلُ الاَيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾(الرعد/02).

ويناجي الشاعر المولى عز وجل (يا إله يا إله)؛ لأن كلَّ قضاء وأمر بإرادته، متوسلا بالنبي الكريم، ومبرزا قدرته سبحانه في رفع السماوات _كما مر بنا في الأبيات السابقة _، وأنه ينزل الغيث فتُسقى الأرض؛ بأن يتقبل دعاءه ويرضى عنه، مستعينا بصبره لما أصابه، وراجيا منه إن يفرج عنه، فيقول(بختي، 2006، 128):

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يا إله يا إله كلش بأمـرك يا متيـن توسل بالنبي العربي محمد جد الحسنين
يا من رفعت السماء وتسقي الأرض بالماء طلبتك تقبل دعائي ليس لي غيرك معين
يا ربي أرجا رضاك ليس لي أحد سواك راني صابر لقضاك فرج عني يا حنين

ج_ الصلاة والسلام على النبي _صلى الله عليه وسلم _:

لقد حفل ديوان "يحي بختي" بذكر النبي الكريم؛ إما صلاة وتسليما، وإما توسّلا وتشفعا به، وإما ذكرا لخصاله وأخلاقه وسيرته، كما يثني على صحابته الكرام في معرض حديثه عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم _، وما قاموا به نصرة له وللدين، وهذا هو دأب الشعراء الشعبيين؛ فقد ((اهتم الشعراء الشعبيون في دواوينهم بالإكثار من الصلاة والسلام على النبي(ص)، لعلمهم بقيمتها عند الله تعالى في نفوسهم وعند المؤمنين، فلم تخل قصيدة من ذكر الصلاة والسلام عليه في بدايتها ونهايتها، فقد تتسم القصيد، بذكر خير العباد وأفضلهم))(حني، 2012، 75). فها هو شاعرنا يقول مصليا عل الحبيب المصطفى، ووجود التكرار في الصلاة عليه (صلوا صلوا)؛ دليل على أهمية ذلك، وأن الشاعر الشعبي يعرف فضله وأجره؛ فقد أمر الله تعالى بالصلاة عليه(بختي، 2006، 135):

صلوا صلوا على محمد يا إخوة مؤمنين بعثو مولانا موحد يجمع شمل المسلمين

وفي خاتمة قصيدة "التوسل بالسيرة المحمدية" قال مصليا على النبي الكريم، الذي هدى الأمة جميعا، وهو خاتم النبيين، خَتَم الشاعر قصيدته مصليا محمد _صلى الله عليه وسلم _(بختي، 2006، 137):

والصلاة على محمد النبي الهادي الأمين بيه أختمنا ذي القصيدة هدية للمؤمنين

وفي قصيدة "يا رب يا خالقي عال القدرة" قال مصلّيا ومسلّما على النبي الكريم(بختي، 2006، 141):

يا رب صلي وسلم على زين التاج القايم نابينا الهادي المعظم محمد رسول الله

وينهي قصيدته "اتخذ العلم والحكمة سول" مصليا على محمد _صلى الله عليه وسلم_ ومذكرا بلقبه(أبو فاطمة)؛ ففاطمة بنته _رضي الله عنها_، وباسميه "طه"، و"يسين"، فقال(بختي، 2006، 152):

والصلاة على نابينا المفضل محمد بو فاطمة طه يسيـــن

وفي قصيدة أخرى، وبعد ذكر اسم الله تعالى، قال مصليا ومسلما على محمد _صلى الله عليه وسلم_ ووصفه بأنه النبي المختار، وأبو القاسم، وأبو فاطمة، بهي الطلعة يشع النور من وجهه(بختي، 2006، 192):

بسم الله أبديت بكلامي ننظم صلاتي وسلام عالنبي المختار
والرضا على أصحابو بلقاسم محمد بو فاطمة شارق لنوار

وفي ختام قصيدة "تحية عرفان" قال مصليا على محمد _صلى الله عليه وسلم_ ذاكرا في هذا المقام ابنته فاطمة _رضي عنها_ وحفيده الحسين _رضي الله عنه_ (بختي، 2006، 109):

والصلاة على النبي بابا فطوم جد الحسين صاحب المعجزات

وما يلاحظ عمّا تقدم من أبيات، وفي أبيات أخر، أن شاعرنا عندما يذكر محمدا _صلى الله عليه وسلم _ يضيف له من الأسماء والصفات من مثل: "النبي العربي، المداني، الأمين، طه، يسين، المعظم، أبو فاطمة، بلقاسم، الهاشمي، المفضل، المختار ..."؛ ليلفت السامع أن الذي يتحدث عنه ليس رجلا عاديا؛ إنه المصطفى عليه الصلاة والسلام، ورجل غيّر مجرى التاريخ، وأخرج الأمة من ظلامها إلى نور مشرق، وهو أبو فاطمة، وما أدراك ما فاطمة _رضي الله عنها وعن صحابته أجمعين_، فذكر له تلك الصفات ليدلّل على مكانته بين أزواجه، وصحابته، وقومه، والتابعين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د_ ذكر سيرته _صلى الله عليه وسلم _ ومعجزاته:

خصص الشاعر "يحي بختي" قصيدة كاملة لذكر سيرته _صلى الله عليه وسلم _ بعنوان: "التوسل بالسيرة المحمدية"، وواضح من العنوان أنها في موضوع التوسل، ولكن إذا تمعناها جيدا نجده قد فصّل في حياة النبي الكريم منذ ولادته إلى أن بعث، ووقف عند جزئيات دقيقة في حياته _صلى الله عليه وسلم _، وممّا جاء فيها(بختي، 2006، 132):

بقى في كفالـــة ربي وأبا طالب مربي قبل أن يبعث ويلبي أصبح من المحبوبين
وفي الثامنة من عمرو ظهرت معجزة في صغرو في يوم أن خلف مقرو مع عمو مسافرين
المعجزة هي الغمامة ظل زين العمامــة أعرفها حبر العلامة له علـم الأولين
رأى السحابة وتأكد وكان الظل على محمد الشجرة غطّات الأمجد بعد السحابة في الحين
كانت السحابة تمشي في الصحرا ظل القريشي أتى بحيرة للغاشي سألهم جئتم من أين

لقد كفله عمه "أبو طالب" ورباه قبل أن يبعث، وفي صغره حدثت معجزة عندما كان في سفر إلى الشام مع عمه "أبي طالب"؛ وهي تلك الغمامة التي كانت تظله _صلى الله عليه وسلم_ من حرّ الشمس الحارقة، وقد لاحظ "بحيرا" الراهب ذلك، والذي لديه علم الأولين، ((...فلما نزل الركب خرج إليهم، وأكرمهم بالضيافة، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك وعرف رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ بصفته، فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال أبو طالب: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخرّ ساجدا، ولا تسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام خوفا عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة))(المباركفوري، 2002، 49)، وتبقى المعجزة الكبرى للنبي عليه الصلاة والسلام هي القرآن الكريم.

وفي نفس القصيدة أيضا، يمضي الشاعر في سرد سيرته _صلى الله عليه وسلم_، فقد دعته خديجة بنت خويلد _رضي الله عنها_ للتجارة بمالها؛ لما سمعت بصدقه ووفائه، وكان يأتيها بالربح الثمين، ثم تزوجها عليه الصلاة والسلام، ولما نزل عليه الوحي عرفت خديجة أنه _صلى الله عليه وسلم_ خاتم النبيين فصدقته وآمنت برسالته، وساندته(بختي، 2006، 134، 135):

ناداتو بنت خويلد خديجة سمعت بالسيد أعطاتو كل إلّي واجد يأتي بالربح الثمين
اشتهر ما بين أصحابو بالوفاء غنموا بأسبابو أجميع التجار أحبابو قبل أن يأمرهم بالدين
تزوج خديجة الكبرى واسكن معاها في حجرة وسارت له كنصرة بالطاعة والفعل الزين
قال لها زمليني من كل الأشياء نـجيني وصوني سري خفيني وقيني من الشياطين
قالتلو راني فهمتك رأيت الخاتم في جسدك أنت نابينا لا غيرك يا خاتم المرسلين
قالتلو يا أيها المزمل ذا واجب لازم تتحمل أنقذنا من كل جاهل بلغ كل المؤمنين

وفي البيت الرابع والسادس تضمين آية من القرآن؛ ليؤكد كلامه، في سورة "المزّمّل"، وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(المزّمّل/01).

وفي موضع آخر من ديوانه، يخبرنا أننا كعرب ومسلمين لم ننادي بقتل الإنسان للإنسان، وكل الأديان السماوية تمنع ذلك، وأن الله أكرمنا بالقرآن الكريم، وبخير نبي أُنزل عليه، وبُعث رحمة للعالمين، وقد عظمه الله تعالى وصلى عليه، وصلى عليه كذلك كلّ من السموات والأرض، فقال(بختي، 2006، 114):

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما نحن كعرب ما قلنا بيه أكرمنا ربي بكتاب الفرقان
محمد رسولنا من جاء بيه ابعث رحمة للأمم خير الأديان
ذكرو ربي عظمو وصلى عليه وما في الكونين من إنس وجان

وما ورد في البيت الأخير (صلى عليه، وما في الكونين)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ يَا أَيُّهَا الَذينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(الأحزاب/56).

ويواصل الشاعر في سرد سيرة سيدنا محمد _صلى الله عليه وسلم_ نظما؛ فقد اختاره الله تعالى وأحبه؛ لحمل رسالة الإسلام، وتوحيد الأمة على "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، كما أحبه أبوه "عبد الله، وأن "آمنة بنت وهب" هي أم رسول الله، و((مات عنها زوجها عبد الله بن عبد المطلب والرسول ما يزال جنينا في بطنها، توفيت والرسول محمد ابن ست سنوات، حيث توفيت نحو سنة 47 ق. هـ، الموافق 577م، ودفنت في الأبواء، وهي موضع بين مكة والمدينة المنورة))(ويكيبيديا، 2020/08/17)، ومن المعلوم أن "حليمة السعدية" أرضعته في بادية "بني سعد"، ((وكانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم، ابتعادا لهم عن أمراض الحواضر؛ لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم، فالتمس عبد المطلب لرسول الله _صلى الله عليه وسلم_ الرضعاء، واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر _وهي حليمة بنت أبي ذؤيب_ وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة، من نفس القبيلة))(المباركفوري، 2002، 46)، وكفله جده "عبد المطلب"، ولما توفي كفله عمه "أبو طالب"، ((ورأت حليمة من بركته _صلى الله عليه وسلم_ ما قصَّت منه العجب، ...))(المباركفوري، 2002، 46)، ويلخص الشاعر ذلك بقوله(بختي، 2006، 129):

حبو واختارو مولانا من بعد الفرقة وحدنا الله المليك أعطانا أسلمنا يا مؤمنين
حبو واختارو عبد اللـه وهو ابن عبد الله وأمينة لبست حلة نجبت سيد الكونين
بعد أن وضعت شافت رؤيا قالت جيبوا مربية جاتو حليمة السعدية حضنت عنو كم سنين
نور سكان البادية سألوا حليمة السعديـة ذا الفتى ألّي مع الفتية أتيتينا بيه منين

هـ_ التغني بجمال النبي _صلى الله عليه وسلم _:

لقد تغنى الشعراء بجمال النبي _عليه الصلاة والسلام_ قديما وحديثا ومدحوه ، ولعل خير مثال على ذلك، قصيدة البردة لكعب بن زهير، والتي جاءت بعنوان: "بانت سعاد" (بنت سعاد فقلبي اليوم متبول...)، وفيها من الغزل والوصف والحماسة والاعتذار والحكم ما فيها، وبردة "البوصيري" (محمد سيد الكونين والثقلين...)، وقصيدة "ولد الهدي" لأحمد شوقي (ولد الهدى فالكائنات ضياء ...)... ونفس الأمر بالنسبة للشعر الشعبي؛ فقد مدحه هؤلاء الشعراء وأوضحوا بعضا من جماله وصفاته _صلى الله عليه وسلم_ وشاعرنا واحد منهم، ولم يكتف بالصلاة والسلام على النبي الكريم، وذكر سيرته ومعجزاته؛ بل زاد على ذلك وصف جماله _صلى الله عليه وسلم_، من ذلك قوله(بختي، 2006، 123):

تمم لي يا رب بجاه نبيك العربي أنا ليك هروبي ثقل ميزانـي
ثبت هذا الكلام بجاه خير الأنـام محمد بدر التمام طـه المداني
جمال باين يا ناس باين ليا منو الراس على يمين عساس جبريل الحقاني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبعد توسله بالنبي الكريم بأن يتمم له الله ويثقل ميزانه ويغفر له؛ لأنه لا مهرب ولا مفر منه إلا إليه، وبأن يثبت كلامه ومقصده بجاه خير الأنام؛ فهو خير من جميع ما على الأرض من الخلق، وجماله كجمال البدر عند اكتماله، وهو ظاهر للعيان، وتحرسه عناية الرحمن.

ويلتفت الشاعر في الأبيات الآتية إلى صفات النبي الخَلْقِية _بالإضافة إلى الخُلُقية_ ، ومما يدلّ على جماله _صلى الله عليه وسلم_ المفردات والعبارات الآتية: (زين التاج القايم، زين الخاتم، شارق الأنوار، زين العمامة، مزين فالو، المنور)، فيقول (بختي، 2006، 141):

يا رب صلّ وسلم على زين التاج القايم نابينا الهادي المعظم محمد رسول الله

ويقول (بختي، 2006، 175):

والصلاة على النبي زين الخاتم محمد بو فاطنة شارق لنوار

ويقول (بختي، 2006، 192):

بسم الله أبديت بكلامي ننظم صلاتي وسلام عالنبي المختار
والرضا على أصحابو بلقاسم محمد بو فاطمة شارق لنوار

ويقول (بختي، 2006، 132):

المعجزة هي الغمامة ظل زين العمامة أعرفها حبر العلامة له علم الأولين

ويقول(بختي، 2006، 198):

والصلاة على النبي سيد رقية محمد بو فاطمة مزين فالو

ويقول(بختي، 2006، 129):

حبو واختارو المنور هذا اسم النبي الطاهر هو ألي جانا مبشر وخاتم النابئين

و_ التوسل والتشفع:

حفل ديوان الشاعر "يحي بختي" بمساحة واسعة في موضوع التوسل، بالمقارنة بالموضوعات الأخرى؛ فقد نظم الشاعر قصيدة كاملة بعنوان: "التوسل بالسيرة المحمدية"، وطويلة جاءت في مائة بيت، تناولت سيرته الزكية ونسبه، منذ ولادته إلى أن بُعث، بالإضافة إلى توسله وشفاعته بالرسول والأنبياء والكعبة والصحابة رضوان الله عليهم، فمن توسله بالأنبياء والأولياء الصالحين قوله (بختي، 2006، 128):

شافني ارفع بلاي يا إله يا مولاي توسلك بالأنبياء والأولياء الصالحين

إنه يتوسل لله تعالى بالأنبياء والأولياء الصالحين، بأن يشافيه، ويرفع بلاءه ويفرّج همه، وعن شفاعته _صلى الله عليه وسلم _ قال الشاعر(بختي، 2006، 129، 130):

نور سكان البادية سألو حليمة السعدية ذا الفتى ألي مع الفتية أتيتينا بيه منين
قالت ما نخفيش عليكم ربما هذا نبيكم ألّي غدوة يشفع فيكم بيه أتعودوا مفتخرين

كما توسل في الكثير من المرات بالنبي الكريم، فمن ذلك قوله (بختي، 2006، 128):

عندك علاجي وطبي يا رب فرج كروبي [نـ]توسل بالنبي العربي يا أرحم الراحمين

هنا طلب الشاعر من المولى عز وجل بأن يفرج كروبه ويرفع عنه مرضه؛ لأنه الله تعالى قادر على كل شيء، وهو مفرّج الكروب والمحن، وهو الشافي، وهو أرحم الراحمين، ويستعين على ذلك بالتوسل بالنبي الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويستعين الشاعر بالتوسل بالمدينة والكعبة والصحابة، وبالنظم في النبي الكريم، ولا ملجأ له ولا معين إلا الله تعالى، فها هو يدعوه بذلك التوسل، لأن الله عز وجل إليه المهرب والمفر، في كل ضيق وعسر، وفي كل مرض وسقم، فيقول(بختي، 2006، 128):

بجاه المدينة والكعبة وما كاين في أرض أثربة بجاه جمع الصحابة إلّي نصرو طه الأمين

أبديت أنقصّد عالعربي محمد طه حبيبي يا ربي ذا ليك هروبي من غيرك لا عندي وين

ومن نفس القصيدة يمدح الشاعرُ النبيَّ الكريم بأنه جاء بالقرآن والعلم، وبُعث رحمة للعالمين، وقوله (محمد نجاح الغبينة) إشارة إلى أنه _صلى الله عليه وسلم_ يشفع في أمته يوم القيامة(بختي، 2006، 129):

جانا بالفرقان الوافي القرآن والعلم الصافي الهاشمي جد الأشرافي بعث رحمة للعالمين

حبو واختارو نبينا وشرف بيه المدينة محمد نجاح الغبينة عالمسلم يوم الحزين

وها هو في قصيدة "حلم ثائر" يتوسل بالنبي الكريم، وصحابته العشرة _رضوان الله عليهم_ فيقول(بختي، 2006، 62):

بسم الله أبديت بكلامي ننظم افهم يا شعب الجزائر ذ الأبيات

على المجاهدين قاصد نتكلم نمدحهم بأشعار في هذ الحياة

بجاه شفيعنا زين الخاتم النبي الرسول مولى المعجزات

بجاه العشرة إلي بيهم يهجم للآن تاريخهم والغزوات

وبنفس الطريقة _ في موضع آخر من ديوانه_ يتوسل بالنبي _صلى الله عليه وسلم_ وصحابته العشرة قائلا(بختي،2006، 138):

يا رب يا خالقي عال القدرة يا ماليك الحق أمرك نترجاه

بجاه الرسول وأصحابو عشرة المهاجرين في سبيل الله

وفي قصيدة "نحن مسلمين ولنا كتاب"، وبالإضافة إلى توسله بالرسول الكريم وصحابته، يتوسل بما يوجد في الأرض والسماوات، ويذكرنا بأن محمدا هو شفيعنا يوم القيامة، يفعل ذلك كله في تضرّع وابتهال؛ ليكون طلبه مستجابا عند الله عز وجل، فيقول(بختي، 2006، 94):

نبدا باسمك يا إله الوهـــاب يا مليك الحق مجيب الدعوات

أتوسل بجاه طه والأصحـــاب محمد شفيعنا يـوم الضقات

يا ربي يكون طلبي مستجـــاب نتوسل إليك بجـاه السادات

يا رب بجاه ما في الملك أقطـاب الكرسي والعرش في السموات

يا رب بجاه ما في الأرض أحساب إنس وحيوان جماد ونبـات

وليس بعيدا عن هذا المفهوم قال متوسلا_ بعد توحيد المولى عز وجل وذكر صفاته العلى_ بداية بمحمد _صلى الله عليه وسلم_ وضمنيا ذكر حفيديه الحسن والحسين _رضي الله عنهما_ في قوله (جد الحسنين)، ثم بالصالحين في كل مكان، وبعدها بِمَن هو عابد ساجد راكع يقرأ القرآن، ليتوسل أخيرا بآل البيت _رضوان الله عليهم_، وبكل من هو مسلم في كل مكان، أبيض أو أسود، وذلك كله من أجل أن يسهل له الله تعالى، ويمده بالقوة، ويلهمه شعرا يمدح به أحدهم، وهو "خالد بن المختار"، وهذا في بقية أبيات القصيدة(بختي، 2006، 189):

نبدا باسمك يا إله يا واحد يا ماليك الملك في كل مكان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتوسل بجاه طه محمد جد الحسنين صاحب الفرقان
بجاه الصالحين في كل بلد قبلة والظهرة وما في الربع أركان
يا ربي بجاه من هو عابد ساجد راكع يحفظ آيات القرآن
يا ربي بجاه آل محمد أجميع الإسلام في كل الأوطان
جميع الصفات من أبيض وأسود آمنا بالله واتقى الرحمان

وفي موضع آخر يخبرنا الشاعر بأن العمل الصالح هم أساس النجاح والفلاح في الآخرة، ومع ذلك لم ينس توسله بالنبي الكريم وآله، والصالحين من الرجال، راجيا من ذلك كله بأن يشفيه الله(بختي، 2006، 185):

يا ربي أنت إلي تشفي لعلال لا غيرك محال واحد نلجأ ليه
توسلك بالنبي خاتم لرسال النبي المختار هو وآليه
بجاه الصالحين خيار لرجال العمل الصالح كل واحد ينجح بيه

ز_ ذكر الصحابة _رضوان الله عليهم_:

إن الشاعر "يحي بختي"، وهو يتحدث عن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ إما مصليا ومسلِّما، أو ذاكرا لسيرته ومعجزاته، أو متوسلا به... لم ينس صحابته الكرام _رضوان الله عليهم_، وكيف له ذلك، وهو يعلم أنهم هم الذين آمنوا به وبدعوته، ونصروه يوم كذبه الناس، ووقفوا معه في أحلك الظروف، وجاهدوا معه، وقاتلوا وقُتِلوا...، ففي قصيدة "يا رب يا خالقي عال القدرة" يثني الشاعر على ربه بأسمائه العلى (الخالق، القادر، الملك، الحق)، وأن أمره مرجو، ثم يتوسل بالرسول _صلى الله عليه وسلم_ وصحابته العشرة، ويذكر أسماء خلفائه الأربعة والصفة التي ميزت كل واحد منهم تجاه النبي الكريم؛ وهم علي، وعمر، وأبو بكر، وعثمان _رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين_(بختي، 2006، 138):

يا رب يا خالقي عال القدرة يا مالك الحق أمرك نترجاه
بجاه الرسول وأصحابو عشرة المهاجرين في سبيل الله
سيد علي حيدار ضد الكفرة عمر الحق خليفة النبي خلاه
الصديق أرفيق ليهم في الهجرة يوم انقصدوا غار حيرة كان امعاه
والسيد عثمان من البررة ذا الربعة خلافة النبي الأواه

وفي قصيدة "التوسل بالسيرة المحمدية" قال عن بداية نزول الوحي على النبي الكريم ذاكرا بعض صحابته، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي(بختي، 2006، 135):

ما دام المولى معانا وهو الذي أمرنا ندعو من يتخذ بينا يكتب مع الصادقين
بوبكر وعمار أذكرهم وعثمان وعلي رابعهم وكذا نصر إليهم رجال الله مذكورين

وفي مواطن أخرى لم يسمّ الصحابة باسمهم؛ ولكن يذكر العشرة المبشرين بالجنة بكلمة (العشرة)، ومن ذلك البيت الثاني من القصيدة السابقة (يا رب يا خالقي عال القدرة) في قوله:(وأصحابو عشرة)، أو قوله في قصيدة أخرى(بختي،135،2006):

خافت منو جميع الكفرة نصرو مولانا بالعشرة وابن العم علي حيدارة أبو الحسن والحسين

أو في مثل قوله (بختي، 2006، 141):

يا رب بلطفك اعزم بجاه النبي الأواه هو والعشرة إلّي في نصرة معاه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو قوله (بختي، 2006، 62):

بجاه العشرة إلّي بيهم يهجم للآن تاريخهم والغزوات

ح_ الدعاء والشكر:

نعم الله كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، قال تعالى:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(النحل/18)، ومن واجب المسلم أن يشكره على ذلك ويحمده؛ لأن دوامها مقترن بالشكر، قال المولى عز وجل في محكم تنزيله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(إبراهيم/09) ، والشعر الشعبي الجزائري، وخاصة الديني منه، مليء بالدعاء والشكر والحمد؛ سواء دعاء لرفع ضرّ أو بلاء، أو لتحقيق أمنية من الأماني، أو لتوبة من ذنب، أو لشفاعة يوم القيامة، أو لمغفرة من رب العالمين...، وإذا عدنا لديوان "يحي بختي"، لم نجد لهذا الموضوع كثرةُ ذِكْرٍ، بالمقارنة مع الموضوعات الأخرى؛ كالتوسل والتشفع، والصلاة على النبي الكريم مثلا، ولكن _وفي حدود ما وجدت_ هناك بعض الأمثلة من الدعاء؛ كقوله في البيت الآتي، واعترافه بالتقصير والعجز في عدم تذكر جميع الرجال، ويدعو المولى عز وجل بأن يرحم الشهداء (بختي، 2006، 175):

هذا قاشي كثير نعجز نذكرهم ارحم يا ربي الشهداء لبرار

ويدعو ربه متضرعا بأن يشفيه ويرفع عنه ما أصابه، متوسلا بالأنبياء والأولياء الصالحين، فيقول(بختي، 2006، 128):

شافني ارفع بلاي يا إله يا مولاي توسلك بالأنبياء والأولياء الصالحين

وفي الأبيات الآتية يدعو ربّه بأن يكون طلبه مستجابا، مرفقا ذلك بتضرع وتوسل، ثم يدعوه مرة ثانية بأن يبدّل سيّئاته حسناتٍ(بختي، 2006، 94):

يا ربي يكون طلبي مستجاب نتوسل إليك بجاه السادات
يا رب بجاه في الملك أقطاب الكرسي والعرش في السموات
يا رب بجاه ما في الأرض أحساب إنس وحيوان جماد ونبات
يا رب أرجاك في يوم الحساب بدّل سيئاتا بالحسنات
اليوم الي فيه ما تنفع لطباب ما كاين إنسان يداوي العلات

وفي البيت الرابع تضمين آية من القرآن؛ وهي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(الفرقان/70).

ولأن شكر العباد من شكر الله تعالى؛ فها هو شاعرنا يشكر المولى عز وجل على شفائه، ثم من بعده يشكر ويمدح الممرضين والأطباء وكل الذين سهروا على علاجه، ويدعو لهم، ويلحّ في الدعاء في ركوعه وسجوده؛ حتى يجيب الله دعاءه(بختي، 2006، 200، 201):

نشكر ربي ونمدحوا رجال الطب نقذونا هما السبة في النجاة
كل ليلة نهار في المولى نطلب ركوع وسجود وأنا في الصلاة
ندعو اللّي عاجوني ونرتب إلي وقفوا وقدموا مساعدات

ويدعو الشاعر ربه بأن يزيل عنه الهموم فيقول (بختي، 2006، 80):

من هذ الهموم جملة نجّينا هم الدّنيا اصعيبْ عنّا في الدارينْ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعله يتأسى بدعاء الرسول _صلى الله عليه وسلم_ الذي يتعوذ من الهم والحزن بقوله: "اللهم إني أعوذ بك الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال"، وله دعاء أطول من هذا، بدايته: " ما أصاب أحدا قط همّ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك...".

3- النتائج ومناقشتها:

من خلال هذه الجولة السريعة في ديوان "يحي بختي"، ورصد أهم موضوعات المديح الديني، نصل إلى جملة من النتائج، أهمها:

_ أن الشاعر "يحي بختي" نظم في جل الأغراض الشعرية المعروفة، وبخاصة الثورة والوطن، والحكمة، والغزل، والمدح.

_ تعددت موضوعات المديح الديني في شعر "يحي بختي"؛ فشملت الاستفتاح باسم الله تعالى، وذكر قدرته وعظمته، والصلاة على النبي الكريم، والتشفع به وبصحابته الكرام والصالحين، والتعرض لسيرته العطرة، بالإضافة إلى الدعاء.

_ لم تخصص لموضوعات المديح الديني قصائد بعينها؛ ولكنها أبيات متناثرة في ديوانه، باستثناء قصيدة أو قصيدتين، منها قصيدة كاملة في التوسل وذكر سيرته _صلى الله عليه وسلم_ جاءت بعنوان: "التوسل بالسيرة المحمدية".

_ موضوع التوسل والشفاعة نال حيزا واسعا في شعره بالمقارنة مع موضوعات المديح الأخرى.

_ تمسك الرجل بربه وبدينه واضح جلي؛ وذلك من خلال ابتهاله وتعظيمه للمولى عز وجل، وذكر صفاته.

_ حبه للرسول _صلى الله عليه وسلم_ وآله ظاهر كذلك؛ وذلك من خلال توسله وتشفعه، والصلاة عليه وذكر سيرته ومعجزاته وبعضا من جماله، وحديثه عن صحابته _رضوان الله عليهم أجمعين_.

_ حفظه ونهله من القرآن الكريم؛ وذلك من خلال تضمين بعض الآيات في شعره.

_ المديح الديني يحتل مكانة كبيرة في الشعر الشعبي الجزائري، كما هو الحال بالنسبة للشعر الفصيح.

- المراجع:

_ القرآن الكريم.

- البرغوثي، عبد اللطيف: القصيدة الشعبية، مجلة فلسطين الثورة، عدد خاص، الجزائر، 1981/01/01م.

- بختي، يحي: ديوان "المسيرة"، جمع وكتابة: عبد الرزاق بختي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط1، 2006م.

- جادي، عمر: شعر الغزل الشعبي في منطقة بوسعادة، دراسة فنية، أطروحة دكتوراه، إشراف: علي بولنوار، جامعة المسيلة، 2020/2019.

- دحو، العربي: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1988م.

- حميدة، سعاد: المديح الديني في الشعر الشعبي الجزائري في تبسة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، عدد:8، ديسمبر 2015م.

- حني، عبد اللطيف: المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العددان: 11و12، جانفي وجوان 2012م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- يونس، عبد الحميد: معجم الفلكلور، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1983م.
- المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، 2002م.
- موقع ويكيبيديا.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، تحق: عبد الله الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- مرتاض، عبد الملك: في الشعر الشعبي الجزائري، مجلة التراث الشعبي، بغداد، عدد: 2، 1978م.
- فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.ت.
- ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط4، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com